

اختار الله رسله واصطفاهم على من سواهم

[ثم رسله صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون] الشرح * قوله: (ثم رسله صادقون مصدقون). أي: أنه سبحانه - هو أعلم برسله الذين أرسلهم إلى خلقه لتبليغ رسالته، ووظيفتهم هي تبليغ رسالته إلى خلقه، وقد اختارهم واصطفاهم على من سواهم من خلقه لاتصافهم بالصدق، وهم مصدقون، أي: يجب على أممهم تصديقهم وقبول أخبارهم والتصديق بها، ومن لم يصدقهم فهو كافر بالله العظيم، وكذلك فإن الله صدّق الرسل وأيدهم، قال تعالى: { لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ } [النساء: 166]. وقال تعالى: { وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ } [الحاقة: 44-46]. وفي نسخة من الكتاب: (صادقون مصدقون) فيكون المعنى: أنهم مصدقون من قبل الله تعالى ومن قبل الوحي - جبريل عليه السلام - فكل ما أوحى إليهم فهو حق وصدق. والحاصل: أنه يجب التصديق برسله الله وما جاءوا به من الشريعة ومن الأخبار على وجه العموم، ولا يجوز قبول بعض أخبارهم دون بعض، فإن من فعل ذلك فإنه لم يؤمن بالله ورسله حق الإيمان، بل يكون ممن آمن ببعض وكفر ببعض؛ لأنه قبل بعض الشريعة دون بعض، وقد كفر الله تعالى من فعل ذلك، فقال سبحانه: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ } إلى قوله: { أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا } [النساء: 150، 151]. الآية. فالذي يقبل بعض الشريعة دون بعض فهذا من الكافرين حقا، كمن يقبل أحكام الشريعة فيما يتعلق بالعبادات، ولا يقبل ما يتعلق بالأموال مثلا فكذلك المبتدعة يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، فإنهم يقبلون ما يتعلق بالأحكام والأوامر والنواهي، ويردون ما يتعلق بالأسماء والصفات، فلا بد من قبول ما جاءت به الرسل؛ لأنهم الصادقون المصدقون. * قوله: (بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون). فإن هناك كثيرا من المبتدعة يتخرصون في صفات الله، ويقولون على الله بلا علم فهؤلاء في مرتبة المشركين؛ لأن الله تعالى قرنهم بأهل الشرك، ورتب ذلك، فقال تعالى: { وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف: 33]. وينطبق هذا على نفاة الصفات الذين يقولون: لا يجوز أن يوصف الله بأنه يعلم، ولا بأنه يقدر، ولا بأنه يرحم، ولا بأنه ينزل في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا، ولا بأنه مستو على العرش، ولا بأنه قريب من عباده، وغير ذلك من الصفات الذاتية والصفات الفعلية. فهؤلاء هم الذين يقولون على الله ما لا يعلمون، بخلاف الرسل الصادقين المصدقين، الذين يبلغون رسالات الله وبخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله، فإنهم قد بلغوا ما أنزل إليهم من ربهم، وبينوه أبلغ بيان، وأوضحوا ذلك للثقلين.